

نشأة الدبلوماسية البرلمانية وتطورها

محمد كريم الخاقاني

REWAQ BAGHDAD

لم تقتصر المؤسسة التشريعية على ممارسة وظائفها التقليدية كتشريع القوانين والرقابة على أداء السلطة التنفيذية، بل أصبحت تؤدي مهام جديدة في الحياة الدبلوماسية وخصوصاً في الأنظمة الديمقراطية، فاصبحت تحتل أولويات الدول السياسية مقارنة بمختلف صور الدبلوماسية لكون الدبلوماسية البرلمانية يمثلها ممثلي الشعب والمعبّرين عن إرادتهم، وتزايد نشاط الدبلوماسية البرلمانية في البيئة الإقليمية والدولية لتكون موازية للدبلوماسية الرسمية التي تضطلع بها الدولة في مجالها الخارجي.

ومن أجل فهم المعنى الحقيقي للدبلوماسية البرلمانية، لابد أولاً أن نبين مصطلح الدبلوماسية بشكل عام، فالدبلوماسية يرجع أصلها إلى الكلمة اليونانية (Diploma) وهي مشتقة من الفعل دبلوم أو دبلون (Diplon) وتعني يطبق أو يطوي الشيء طيتين (١).

وكلمة دبلوما تعني الوثائق الرسمية التي كان يصدرها حكام المدن اليونانية لتمنح من يحملها حصانات وإميازات أثناء تنقله في تلك المدن، وهي مطوية طيتين لسهولة حملها وحفظها (٢).

ومن ثم إنتقلت إلى الرومان لتطلق على الجوازات وتصريحات المرور بأسم الإمبراطور، واتسع مدلولها لتشمل الأوراق والوثائق الرسمية التي تتضمن الإتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها الإمبراطورية الرومانية مع الدول، واستمر الحال إلى القرن الثامن عشر، فتغير مصطلح الدبلوماسية من كونه معني فقط بحفظ المراسلات والإتفاقيات إلى توجيه وإدارة العلاقات الدولية منذ مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، واستقر هذا المصطلح في التعاملات الرسمية منذ بدايات القرن التاسع عشر، ومنه أخذت الدول العربية هذا المصطلح (الدبلوماسية) وادخلته إلى اللغة العربية (٣). فالدبلوماسية بمعناها الحديث تعني مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والبراسم والمؤسسات والاعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين بهدف خدمة المصالح العليا الأمنية والإقتصادية والسياسات العامة، وللتوثيق بين مصالح الدول عبر الإتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الإتفاقيات والمعاهدات الدولية (٤).

فلم تكن فكرة الدبلوماسية البرلمانية دخيلة على الممارسة السياسية، بل تعود إلى مرحلة ما قبل الميلاد، ومن ثم تبلورت وتطورت حتى أصبحت تدخل ضمن صلب العمل البرلماني، ويرتكز ظهورها في عالم اليوم بمحورين؛ الأول، يختص بمحور الجهات الفاعلة في العمل السياسي ومن أبرزهم، المشرعون، الأحزاب السياسية، البرلمانات الوطنية والإقليمية والتجمعات البرلمانية الدولية مثل الإتحاد البرلماني الدولي، أما المحور الثاني فيتعلق بطبيعة الممارسة وهي قد تكون بشكل رسمي أو غير رسمي وعلى الأصعدة كافة،

فتكون المشاركة محلية عندما تتعلق بتدقيق السياسة الخارجية للحكومة، او ان تكون مشاركتها في دورة السياسات العامة وإضفاء الشرعية عليها(٥). وتختلف الاراء بشأن تفسير مصطلح الدبلوماسية البرلمانية كما هو الحال في مصطلحات العلوم الإجتماعية، فهي تعرف من زاوية النشاطات البرلمانية الدولية، فتتمثل في المدى الكامل للنشاطات الدولية التي يمارسها البرلمانيون بقصد رفع مستويات التفاهم المتبادل بين الدول، وتدعيم هذه الدول مع بعضها البعض من اجل تعزيز الرقابة على الحكومات وممثلي الشعب، فضلاً عن زيادة الشرعية الديمقراطية داخل المؤسسات الحكومية(٦). وتعرف الدبلوماسية البرلمانية بإنها "مجموعة التدخلات البرلمانية المنظمة وفق إستراتيجية معينة لدى هيئات اجنبية، لوقف التأثير او إعاقة ما لا يتوافق مع الاهداف الوطنية" (٧).

ويمارس البرلمان دوراً تعزيزياً في إظهار التوافق مع الدبلوماسية الرسمية، فهنا يمارس البرلمان التعبير عن إرادة الدولة التي تستند للشرعية وسيادة الشعب على الصعيد الدولي، وفي الإتجاه الآخر تمارس الدبلوماسية البرلمانية التأثير على صياغة ورسم سياسات ومراكز إتخاذ القرار وذلك بإستثمار هامش الحرية للنواب وإستقلاليتهم، إذ تمثل تلك الممارسات، إرادة الشعب الذي يمثلونه أولئك النواب(٨).

وتعمل الدول على تحقيق اهداف سياساتها الخارجية في علاقاتها مع غيرها عن طريق إستخدام ادواتها المختلفة، ومن أبرز تلك الأدوات، الدبلوماسية، التي تعد الأداة الأكثر فاعلية في تنفيذ السياسة الخارجية وتنظيم علاقة الدولة مع الدول المختلفة، وهو ما أدى الى زيادة في العمل الدبلوماسي وظهور انماط جديدة تختلف عن الدبلوماسية الرسمية التقليدية، ومن بين تلك الأنماط هي الدبلوماسية البرلمانية وهي تمثل إستجابة للنظريات التي ظهرت في العلاقات الدولية وزيادة الإعتماد المتبادل بين الشعوب(٩).

وساعدت عدة عوامل في تزايد اهمية الدبلوماسية البرلمانية مثل التغيرات التي طرأت على النظام الدولي بعد إنتهاء الحرب الباردة، ومن ابرز تلك التغيرات هو ما تمثل بتفتت الإتحاد السوفيتي السابق وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بعد ذلك الحدث، وهو ما سمح بنشر القيم والمبادئ الغربية التي يعتنقها المعسكر الرأسمالي، كتبني الديمقراطية في انحاء العالم، وهذا ما ساعد في تبلور اهمية دور البرلمان كأحدى مؤشرات الديمقراطية والتنمية، وبالتالي الإندماج في العولمة التي باتت تمثل سمة التغيير الجديد في العالم (١٠).

وتعد الدبلوماسية البرلمانية مساراً جديداً للدبلوماسية الموازية ومزودة للعمل الدبلوماسي الحكومي وتتحدد اهدافها بما يلي:

الأول: تعد الدبلوماسية البرلمانية من مهام البرلمان الثالثة بعد كل من التشريع والرقابة .

الثاني: العمل على تعزيز السلم والأمن الدوليين، فقد تضمن ميثاق الأمم المتحدة في احد بنوده، "ان تضطلع الأمم المتحدة بدور مهم في منع الصراع بإستخدام الدبلوماسية، ومكاتب المساعي الحميدة والوساطة. وبعد المبعوثون الخاصون والبعثات السياسية في الميدان من الوسائل التي تستخدمها المنظمة في نشر السلام"(١١).

ولا تشكل الدبلوماسية البرلمانية بديلاً عن الدبلوماسية الرسمية، بل هي مكمل لها وذلك من خلال الإستفادة من الإمكانيات التي يتوافر عليها البرلمان وعلاقاته مع مختلف البرلمانات في العالم وهو ما يؤدي في النهاية الى تكوين شبكة علاقات جيدة من خلال اللجان البرلمانية التي يتم تشكيلها لتقوم بمهام تنمية وتعزيز العلاقات الودية مع غيرها على مستوى العالم .

الهوامش :

١_ بلال نورة، أثر الدبلوماسية البرلمانية في السياسة الخارجية للجزائر، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٦، ص ١٠.

٢_ علي يوسف الشكري، الدبلوماسية في عالم متغير، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢٠٠٤، ص ٧.

٣_ بلال نورة، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

٤_ سعيد محمد ابو عبا، الدبلوماسية: تأريخها، مؤسساتها، انواعها، قوانينها، دار الشيماء للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٩، ص ١٣.

٥_ عماد الشيخ داود، الدبلوماسية البرلمانية(المعنى، الاهداف , كيفية العمل)، مجلة دراسات سياسية وإستراتيجية، بيت الحكمة، بغداد، العدد ٣٧، ٢٠١٨، ص ١٥٢.

٦_ يوسف ازروال، الدبلوماسية البرلمانية : دراسة في دور البرلمان الجزائري، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، جامعة عمار ثليجي، الجزائر، العدد ٦، ٢٠١٧، ص ١٩١.

٧_ عيس بو رقيبة، الدبلوماسية البرلمانية وإسهاماتها في حل الخلافات العالمية والوطنية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٥، ص ٤٣.

٨_ صيحة بغورة، الدبلوماسية البرلمانية، متاح على الرابط الإلكتروني الآتي:

<http://www.almothaqaf.com/qadaya2009/62650.html>

٩_ الدبلوماسية البرلمانية، متاح على الرابط الإلكتروني الآتي:

<https://political-encyclopedia.org/dictionary/>

١٠_ راشد احمد الرشيد، الدبلوماسية البرلمانية: الأهداف والآليات والأدوار، دراسة حالة مجلس النواب البحريني، معهد البحرين للتنمية السياسية، ٢٠١٧، ص ١٨.

١١_ عماد الشيخ داود، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.